ملخّص حديث الساعة حديث زهرائي - الحلقة 5 / عبد الحليم الغزّي
العلوّ الاسرائيلي الثاني ج2
الاربعاء : 30/جمادى الثاني/1446هـ - الموافق 1/1/2025م

كانَ الحديثُ في الحلقة الماضية حولَ العُلُوّ الإسرائيليّ الثّاني، بَقيت نُقطةٌ مُهِمَّةٌ لابُدَّ أن أمُرّ عليها:
العُلُوّ الإسرائيلي الثّاني يَعني مَعنَيين مُزدَوَجين:
المعنى الأوّل: بقاء إسرائيل.
والمعنى الثّاني: قُوّةُ إسرائيلَ وتَفوّق هـذه الدولة بعدما تشكّلت وتأسّست بطريقة عجيبة وغريبة بالقياس إلى دول المنطقة نفسها.
فإسرائيلُ باقيةٌ ما دامت تتمتّعُ بِعُلُوها الثّاني، وفي الوقت نَفسه ستكونُ قويَّةً وستكونُ الأقوى لأنّها ستكونُ الأعلى في المَنطقة، النّصّ القُرآنيّ يُخبِرنا بهـذه الحقيقة، فضلاً عن الواقع المحسوس الّذي شاهدناهُ سابِقاً ونُشاهِدهُ الآن..
النقطةُ الّتي أُريدُ أن أتحدّثَ عنها: أن أُشيرَ إلى أهمّ العوامل الّتي تجعلُ إسرائيلَ باقيةً وقويّةً ومُتفوقةً ومُتسلّطةً على المنطقة، بحيثُ أنّ الجميع يُريدونَ رِضاها، في السرّ وفي العَلَن، ولذا فهي راضيةٌ جدّاً عن أكثر دُول المنطقة - أتحدّثُ عن منطقة الشّرق الأوسط وما يُجاورها - تُغازِلُ إسرائيلَ تارةً بأسلوبٍ مُباشر، وتارةً بأسلوبٍ غَير مُباشر، إلّا الّذينَ وضعوا أنفُسَهم في محوَرٍ أطلَقوا عليه؛ "محوَر المُمانَعة، محوَر الصُمود، محوَر المُقاومة"، وهـؤلاء لهُم حكايتُهم.
أهمّ العوامل الّتي تَجعلُ إسرائيلَ باقيةً وقويّةً ومُتفوقة:
العاملُ الأوّل: وضوح الفكرة الإسرائيليّة عندَ النُخبة الإسرائيليّة، وحتّى عندَ غيرِ النُخبة، وحينما أتحدّثُ عن النُخبة الإسرائيليّة أتحدّثُ عن النُخبة السياسيّة، والنُخبة الأمنيّة والمُخابراتيّة، والنُخبة العَسكريّة، وبَعدَ ذلكَ ينتقلُ الكلامُ إلى النُخبة الأكاديميّة، والنُخبة المُثقّفة، والنُخبة الإعلاميّة، ووراءَ كُلّ ذلكَ المؤسّسةُ الدينيّةُ الإسرائيليّةُ الرّسميّة بحاخاماتها ورجالاتها وكُبرائها، هـؤلاء هُم النُخبة، حينما أقولُ مِن أنّ الفكرة واضحةٌ أنا لا أتحدّثُ عن حقّها أو باطلها، إنّما أُريدُ أن أقُولَ من أنّ اليهودَ يُنشئونَ أبناءهُم مُنذُ نُعومة أظفارهم على هـذه الفكرة..
العَلمانيّونَ الإسرائيليّونَ، العَلمانيّون اليهود في دولة إسرائيل ما هُم بِبعيدينَ عن هـذه الفكرة لقد نشأوا عليها، وبعدَ ذلكَ حينما كَبِروا تَغيّرت اتجاهاتُهم من الاتجاهات الدينيّة إلى الاتجاهات العَلمانيّة، والعلمُ في الصِّغَر كالنّقش في الحجر..
الجانبُ العقائديّ هُوَ الجانبُ الأهمّ في حَياة الإنسان بغضّ النّظرِ عن أحقيّة العقيدة أم بُطلانها، بغضّ النّظرِ عن الهُدى أم الضّلال، الجانبُ العقائديّ جانبٌ مُهِمٌّ في تكوين الإنسان وفي البناء الإنساني، ومن هُنا فإنّ دينَ العترة الطاهرة يهتمّ أوّلاً وآخراً بالعقيدة، ولكنّ هـذا المنهج رفضتهُ حوزةُ النّجف، فحوّلَت الدين إلى طُقوسٍ وأحكامٍ، حوّلت الدينَ إلى رِسالة عمليّة لا تُساوي فَلساً واحداً في ميزانِ الحَقيقة، في ميزانِ دينِ العترة الطاهرة..
الفكرةُ الإسرائيليّةُ المؤسِسةُ لدولة إسرائيل تَتشكّلُ من مُفردات أساسيّة:
• **المُفردةُ الأولى: "اليهودُ شعبُ اللّهِ المختار".**
وفقاً لهـذه المقولة فإنّ اليهودَ يُشخّصونَ موقفَهم الإنسانيَّ أوّلاً، والاجتماعيّ ثانياً، والأخلاقيّ ثالثاً، والسياسيّ رابعاً، والعَسكريَّ خامساً، وفقاً لهـذه المقُولة يتمايزُ سُكّانُ الأرض بِحسَب العقيدة اليهوديّة إلى: "**إسرائيليّين، وأُمَميّين**"، والأُمَميّونَ لا قيمَة لهم في ميزانِ الإسرائيليّين، غايةُ ما يُمكنُ أن يكونوا فإنّهم يكونونَ خدماً عبيداً أتباعاً يحقّقونَ ما تُريدهُ إسرائيل، النّصوص الدينيّة في الكتابِ المقدّس وفي التلمود اليهودي كُلّها تتحدّثُ عن هـذه الحقيقة..
• **المفردةُ الثّانية: "فلسطينُ لهُم وليست لغيرهم".**
فضلاً عن المنطقة الإبراهيميّة الّتي منحها اللّهُ لنسلِ إبراهيم، نَسلُ إبراهيم؛ "العربُ واليهود"، ولكنّهُم بِحسَبِ الدين اليهودي يجعلونَ ما منحَهُ اللّهُ لإبراهيمَ بِحسَبِ كتابهم المقدّس يكونُ خاصّاً باليهود، ففلسطينُ لهم وليست لغيرهم، ولذا بُنيت على هـذا فكرةٌ أساسيّةٌ في الستراتيجيا السياسيّة والعسكريّة الإسرائيليّة، قُوّاتُ الهاجاناه اشتغلت بهـذه الطريقة؛ (أرضٌ بلا شَعب لشعبٍ بلا أرض)، هـذه المقُولةُ مقُولةٌ إسرائيليّةٌ حقيقيّةٌ صِرفة؛ "أرضٌ بِلا شعب"؛ من دُونِ الفلسطينيّين، "لشعبٍ"؛ وهُم اليهودُ الّذينَ جاؤوا من مُختلف بِقاع العالم فهـذه الأرضُ لَهم..
• **المُفردةُ الثالثة: "مظلوميّةُ إسرائيل، مظلوميّةُ اليهود".**
اليهودُ ظُلِموا هـذا أمرٌ لا شكّ فيه، هل هُم يستحقّونَ الظُلم، لا يستحقّونَهُ، قطعاً اليهودُ أُمّةٌ من الأُمَم، في بَعض الأحيان يستحقّونَ الظُلم كما تستحقّ الأُمَمُ الأُخرى الظُلم، مُرادي يستحقّونَ الظُلم؛ "أنّ اللّهَ يُسلّطُ عليهم الظّالمينَ عُقوبةً لهم"، مُنذُ أن انتهى العُلُوّ الأوّل واليهودُ ينتقلونَ من ظُلمٍ إلى ظُلمٍ، هـذا لا يعني أنّهم لم يتمتّعوا بِحياةٍ هانئة في بعض المقاطع التأريخية، هـذا لا يعني أنّهم لم يكونوا قد عاشوا بسلامٍ في العديد من البُلدان، لكن بنحوٍ إجماليّ تعرضوا للظُلم..
في ذاكرة اليهود الوجدانيّة هُناكَ ألمٌ، ألمٌ للمظلوميّة الممتدّة عبرَ التأريخ ولذا فَهُم يبكُون، هُناكَ بُكاءٌ عندَ اليهود، هُناكَ بُكاءٌ دينيّ مُقدّس، وما البُكاءُ الّذي تُشاهدونهُ تسمعونَهُ عندَ حائط المبكى في أورشليم في القُدس هـذا البُكاء هُوَ جزءٌ من هـذه الثقافة اليهوديّة المُفعمة بالمظلوميّة والحُزن.
هـذه المفرداتُ ينشأُ عليها الطفلُ اليهوديّ ذكراً كانَ أم أُنثى، أطفالُ اليهود يُرضَعُونَ هـذه المضامين مع حليبِ أُمّهاتهم، يأكُلونَ هـذه المضامين مع ملاعق الطعام الّتي تُقدَّمُ إليهم من آبائهم وأُمّهاتهم، ولذا ينشأُ اليهودُ على هـذه المفردات. مع مُلاحظة؛ أنّ الديانة اليهوديّة ليست ديانةً تبشيريّة، فستكونُ المؤسّسةُ الدينيّةُ اليهوديّةُ متفرغةً لأبناء طائفتها، وستكونُ جُهودُها مركّزةً ومُرسّخةً في متابعة رعيّتها، من هُنا تكونُ الفكرةُ الإسرائيليّةُ واضحةً جدّاً.
لابُدّ أن تعرفوا من أنّ وضوحَ الفكرة في الذهن بغض النّظرِ عن حقّها أو باطلها حينما تكونُ واضحةً وراسخةً تجعلُ الإنسانَ مُصدقاً بها ومُخلصاً لها في الوقت نفسه، وحينما يكونُ الإنسانُ مُصدّقاً بهـذه الفكرة الواضحة ومُخلصاً لها سيكونُ مُندفعاً للعمل لأجلها، وهـذا هُو الّذي جرى في العُقود السابقة قبلَ تأسيس دولة إسرائيل وفي العُقود اللاحقة بعدَ تأسيس دولة إسرائيل، والأمرُ لا زالَ يجري على هـذه الجديلة وبنفس هـذه الطريقة..
هـذا العاملُ الأوّل من العوامل المهمّة الّتي جعلت إسرائيلَ باقيةً بالرّغم من أنّها جزءٌ غريبٌ عن المنطقة، لكنّها صارت ثابتةً وراسخةً في منطقة الشّرق الأوسط، بل صارت مُتحكّمةً بالشّرق الأوسط، العاملُ الأوّل هُو هـذا، وهـذا أهمّ العوامل: "الفكرةُ الإسرائيليّةُ الواضحة".
العاملُ الثّاني: "ارتباطُ وجود إسرائيل بوجود الولايات المتحدة الأمريكيّة".
العاملُ الأوّل عاملٌ معنويّ، عاملٌ عقائديّ، عاملٌ محرّكٌ للأفراد، أمّا العاملُ الثّاني فهو الّذي يُمثّلُ ما هُوَ على واقع الأرض، إن كانَ ذلكَ في الجانب العسكريّ، في الجانب التكنولوجي، في الجانب العلميّ الأكاديمي، في الجانب السياسيّ والدبلوماسي، في الجانب الاقتصاديّ وهُوَ أهمّ الجوانب، إلى سائرِ المُتطلّبات

الأخرى الَّتي تتطلَّبها دولةٌ تتأسَّسُ بطريقةٍ طُفيليّةٍ ولكنَّها ستكونُ راسخةً وثابتةً وقويَّةً جداً ومُتحكِّمةً بالمنطقةِ كُلِّها، ارتباطُ وجودِ إسرائيل بوجود الولاياتِ المتحدة الأمريكيّة.

وهـذا الارتباطُ الوجهُ الظاهرُ منه وهُو الوجهُ الحقيقيّ؛ "**أنَّ إسرائيلَ تُحافظُ على المصالحِ الأمريكيّةِ في هـذهِ المنطقة**"، في المنطقة الَّتي نشأت فيها، وهـذهِ المنطقةُ في نَظر الدُول الكُبرى هي المنطقةُ الَّتي مَن يتحكَّمُ فيها سيتحكَّمُ بمستقبل العالَم..

لا تنسوا: المسيحيّونَ لا يُحبّونَ اليهود، نصَّاً من الكتاب المقدَّس في عهده الجديد وهُوَ الكتابُ المقدَّسُ عندَ النصارى.

إنجيلُ متّى وهُو أوَّلُ الأناجيل في البايبل، طبعةُ دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، الاصحاحُ الثَّالثُ مَن إنجيلِ متّى: **وفي تلكَ الأيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدان** - يوحنّا المعمدان في الثقافة المسيحيّة يُقابِلُهُ عندنا في الثقافة الإسلاميّة النَّبيّ يحيى بنُ زكريّا - **يَكرِزُ فِي بَرِّيَّةِ اليهودِيَّة** - بريَّةُ اليهوديَّة هي الأرضُ الممتدّةُ ما بينَ فلسطينَ والأردن، يَكرِزُ أي أنَّهُ يُبلِّغُ الدين، فالكَرازةُ التَّبليغُ الدينيّ عندَ المسيحيين - **قَائلاً تُوبُوا لأَنَّهُ قَد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوات** - ويستمر هـذا الاصحاح حتَّى نَصلَ إلى الفقرة الخامسة: **حِينَئذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورشَلِيم** - خرجَ إليه سُكَّانُ أورشليم - **وَكُلُّ اليَهودِيَّة** - وكُلّ المناطقِ اليهوديّة - **وجميعُ الكُورَة** - "جميعُ الكُورة"؛ جميعُ المناطقِ المحيطة بالأردنّ - **واعْتَمَدوا منْهُ** - في الأردن - **مُعْتَرِفِيْنَ بِخَطَايَاهُم** - هـذهِ الَّتي تُسمَّى بمعموديَّة يوحنّا المعمدان - **فَلمَّا رَأَى** - يوحنّا المعمدان - **كَثِيْرِيْنَ مِنَ الفَرِيسِيين** - وهُم طائفةٌ مِنَ اليهود - **وَالصَّدُوقِيين** - وهُم طائفةٌ أُخرى - **يَأتُونَ إلى مَعْمُودِيَّتِه** - في الخَلاء عندَ النَّهر في الأردن، هُنا كانت معموديّة يوحنّا المعمدان - **قَالَ لَهُم** - لهـؤلاء الَّذينَ جاؤوا يطلبونَ الاعترافَ بخطاياهُم ويطلبونَ التطهُّر - **قَالَ لَهُم: يَا أَولادَ الأَفَاعِي** - "يا أولادَ الأفاعي"؛ لأنَّ آباءهم ما جاؤوا كي يَتُوبوا، هـؤلاء هُم الَّذينَ جاؤوا يتوبون فَهُم أولادُ الأفاعي - **مَن أَرَاكُم** - مَن الَّذي علَّمكم - **أَن تَهرِبُوا مِنَ الغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بالتَّوبَة** - أثماراً يعني أعمالاً - **وَلَا تَفتَكِروا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكم لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً، لأَنِّي أَقُولُ لَكُم؛ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَن يُقِيمَ مِن هـذهِ الحِجَارَةِ أَولَاداً لإبراهيم** - القيمةُ في عَملكم والقيمةُ في توبَتكم يَا أولادَ الأفاعي، هـكذا يتحدَّثُ الكتابُ المسيحيّ المقدَّسُ عن اليهود وعلى ألسنة الأنبياء..

العَامِلُ الثَّالثُ من العوامل المهمَّة الَّتي تُحافظُ على بقاء دولة إسرائيلَ قويَّةً مُتفوقةً ومُتسيّدةً في منطقة الشَّرقِ الأوسط:"النِّظامُ الديمقراطي".

نظامُ دولة إسرائيل نظامٌ ديمقراطيّ، كالأنظمة الديمقراطيّة في العالم الغربي ليس كالأنظمة الديمقراطيّة الَّتي يُقالُ عنها ديمقراطيّةٌ في بُلداننا العربيّة..

قد يقولُ قائلٌ : وهـذا الَّذي يفعلونهُ بالفلسطينيين؟!

أنا لا أتحدَّثُ عن هـذا الموضوع، أتحدَّثُ عن النِّظام داخل دولة إسرائيل..

فالنِّظامُ الديمقراطيّ الإسرائيليّ يوفِّرُ الحريَّةَ لمواطني هـذهِ الدولة، ويُوفِّرُ كذلكَ القضاءَ المُستقلَّ، إنَّني أتحدَّثُ عن نظامٍ في داخل دولة إسرائيل يتعاملُ معَ المواطنينَ الإسرائيليّين، نحنُ لا نتحدَّثُ عن شيء مثاليٍّ حينما نتحدَّثُ عن نظامٍ ديمقراطي ، الأنظمةُ الديمقراطيّةُ ما هي بأنظمة مثاليّة إنَّها أنظمةٌ بشريّةٌ، لكن لا وجه للمُقايسة بينَ هـذهِ الأنظمة وبينَ الأنظمة الَّتي تَحكُم الدُولَ العربيّة والدُولَ الإسلاميّة، فالنِّظامُ الديمقراطي في دولةِ إسرائيل يُشكِّلُ شيئاً مِنَ المُصالحة الحقيقيّة بينَ الحُكومةِ والشعب..

العاملُ الرابع من عواملِ بقاء دولة إسرائيل قويَّةً مُتفوِّقةً مُتقدِّمةً بالقياسِ إلى دول المنطقة الَّتي هي فيها: "الغباءُ العربيّ الإسلامي".

الغباءُ هُو من أهمِّ عواملِ بقَاء إسرائيلَ قويَّةً متفوقة، إسرائيلُ مُنذُ أوَّل يومٍ مِن أيَّامِ تأسيسها وهي لا تُواجِهُ إلَّا الغباء، وتُواجهُ الغباءَ بذكاءٍ مُتَّقد، فهل يستطيعُ الغباءُ العربيُّ الإسلاميّ أن يُواجه الذكاء اليهوديّ الإسرائيليّ المتَّقد؟!

مثالٌ على أرض الواقع: السابع من أكتوبر من سنة (2023)، ما قامت بهِ حماس في السابع من أكتوبر إنَّهُ غباءٌ فلسطينيّ عربيٌّ إسلاميّ سُنيّ بامتياز، ووافَقَ هـذا الغباء ما قامَ بهِ حزبُ اللّه في لبنان، إنَّهُ غباءٌ لُبنانيٌّ عربيٌّ إسلاميٌّ شيعيّ، إسرائيل مُنذُ تأسيسها وهي تُواجِهُ الغباء العربيّ إلى أن وصلت إلى مُواجهة الغباء الإسلاميّ بشطريه؛ "بشطره السنّي، وشطره الشيعي"..

في الجو الشيعيّ هُناكَ مسارُ المقاومة وهُناكَ مسارُ المُسالَمة، والمسارانِ لا علاقة لهما بمنهج العترة الطاهرة، منهجُ المُسالَمة منهجٌ استخذائيٌّ مُشبعٌ بثقافة الاستخذاء النَّاصبي، ومنهجُ المقاومة منهجٌ قُطبيٌّ مشبعٌ بقذاراتِ سيّد قطب، هـذهِ هي الحقيقةُ مِن الآخر..

بقيَ هُناكَ عاملانِ مُهمَّانِ أيضاً: "سَطحيَّةُ الشعوب العربيّة".

وهـذه السطحيَّةُ مردُّها إلى سطحيّة الدين السنّي، ومر الكَلامُ في هـذا..

سطحيَّةُ الشعوب العربيّة عاملٌ منَ العوامل المُهمَّة الَّتي تقُودنا إلى عامل آخر: "إلى الحُكَّام العرب".

لا أستطيعُ أن أصفَهُم جميعاً بالخيانة، ولكنَّ الشعوبَ السطحيّة تُنتجُ حُكّاماً سطحيّين، واضحٌ على حُكَّام الدول العربيّة أنَّهُم مُعبَّؤون بالجهل وبالأُمِّيَّة الثقافيّة، هُناكَ حالةُ انعدامٍ للثقافة عندَ الكثير وعندَ الأكثر من حُكَّام العرب منَ المعاصرينَ أو من الَّذين ماتوا منَ الَّذين سبقوهم، أجيالٌ منَ الحُكَّامِ يَحكمونَ الدُولَ العربيّةَ مُنذُ زمانٍ تأسيس دولة إسرائيل وهُم غاطسونَ في سطحيّتهم الَّتي هي من سطحيّة شُعوبِهم، وفي جهلهم وفي أُمِّيَّتهم فضلاً عن خيانَة بعضهم، هُناكَ حُكَّامٌ عربٌ خَونَة، الخيانةُ كانت جُزءاً من حياتهم، لا لأجلِ خدمةِ إسرائيل وإنَّما لتحقيقِ مصالحهم الشخصيّة أو مصالحهم الأُسريَّة..

أتعلمونَ أنَّ مُخطَّطات إسرائيل لتقسيمِ منطقة الشرق الأوسط كانت مَكتوبةً ومَدروسةً ومُحقَّقةً مُنذُ بدايات الثمانينات، لكنَّهم لم يجدوا مجالاً، الإسرائيليّونَ هـكذا يتعاملونَ معَ الواقع؛ يضعون المخطَّطات وينتظرون، إذا وجدوا فُرصةً مُناسبةً لتطويع الواقع بحسبِ النُّصوص يُبادرونَ إلى ذلك ولو بدرجة ضعيفة، فإن لم يستطيعوا فإنَّهم يُبادرونَ لتطويع النُّصوص بحسبِ الواقع، فحينما يندفعُ الغباءُ العربيُّ في اتجاه منَ الاتجاهات يستغلّونَهُ، هُم لم يكونوا يُريدونَ أن يفعلوا هـذا، لكنَّ الغباء العربيّ فتحَ لَهُم بوّابةً، فحينما تُفتحُ البوّابةُ الم خطَّطاتُ موجودةٌ يُنفِّذونَ المخطَّطات بحسبِ ما يستطيعون، ما جرى من تَدمير لغزَّة هُو جزءٌ من تطويع الواقع بحسبِ النُّصوص، وما جرى في لُبنان هُو تطويعٌ للنُّصوص بحسبِ الواقع، هـذا هو الَّذي يجري على الأرض أمامَ أعيُننا..

لقد حدَّثنا القرآنُ كثيراً جداً عن اليهود وعن بني إسرائيل، لم يُحدِّثنا القُرآنُ قَطعاً عن أُمَّة من الأُمَم أو عن مجموعة بَشريَّة من المجموعات البشريَّة الَّتي تحدَّثَ القُرآنُ عنها مثلما حدَّثنا عن بَني إسرائيل، لماذا فَعلَ القُرآنُ هـذا؟ لأنَّ الإسرائيليّينَ سيكونونَ موجودينَ بقُوَّةٍ في منطقة الظهور والمشروعُ المهدويُّ هُو مشروعُ اللّه، هُوَ مشروع القُرآن، فلابُدَّ منَ الحديث عن الإسرائيليّين الَّذينَ سيكونُ لهم العُلُوّ وستكونُ لهُم الغَلَبة حتَّى يظهر إمامُ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، لهـذا فإنَّ القُرآنَ تَحدَّثَ وتَحدَّثَ وتَحدَّثَ بإسهابٍ وبتفصيل ومن جميع الجهات.

في سورة آل عمران، الآية العاشرة بعدَ المئة بعدَ البسملة وانتهاءً بما بعدها من الآيات: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس** - موطن الحاجة - **تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ** - إنَّهم اليهودُ والنصارى والحديثُ بالدرجة الأولى عَن اليهود - **لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون** ۞ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُون** - هـذا حالُ اليهود مُنذُ نِهاية العُلُوّ الأوّل، ونحنُ نتحدَّثُ الآنَ عن

الزَّمان المُحَمَّديّ، الزَّمان المُحَمَّديّ واقعٌ ما بينَ العُلُوّ الأوّل والعُلُوّ الثاني، لكن إذا ما وصلَ اليهودُ إلى العُلُوّ الثَّاني فإنَّ الأمرَ سيتبدَّل، وهٰذا تطبيقٌ من تَطبيقات قانونِ البداء، إذا بدأ العُلُوّ الثَّاني وبدايتهُ كانت من تأسيس دولة إسرائيل فإنَّهم لا يُولَونَ الأدبار إنَّهُم في مرحلة العُلُوّ، ما قَبلَ العُلُوّ الثَّاني هٰذا حالُهم: **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى** - شيءٌ محدود لا قيمَة له - **وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ** - تستمر الآيات - **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَاثُقِفُواْ**﴾، متى؟ من بعد نهاية العُلُوّ الأوَّل، تَسلَّطَ عليهم الآشوريّون وهُناكَ سبي آشوري، لكن لا يكثُر الحديثُ عنه..

تفرَّق اليهودُ في مُختلف بُلدان العالم وتَعرضوا للكثير من النَّكبات، انتهى العُلُوّ الأوَّل بعدَ أن انتهى عصرُ الدولة السُليمانيّة بدأ عصرُ الانحطاط اليهوديّ، قطعاً لا يبدأ دَفعةً واحدة وإنَّما بالتدريج، بعدَ موت سُليمان النَّبي بدأ عصرُ الانحطاط اليهوديّ بالتدريج، إلى أن بدأوا يتوافدونَ إلى فلسطين وتأسَّست الدولةُ الإسرائيليّةُ وهُنا بدأ العُلُوّ الثَّاني، فحينما بدأ العُلُوّ الثَّاني لم يتغلَّب عليهم أحدٌ في مَعركة من المعارك، لأنَّ الله قد قَدَّرَ هٰذا لهم، القُرآنُ يقولُ هٰذا لستُ أنا.

﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ** - هٰذه مُقدماتُ الانحطاط اليهوديّ بعدَ العُلُوّ الأوَّل - **لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** - قطعاً لا يُمكن أن نَحكُم على اليهود جميعاً بهٰذا الحُكم لا الَّذين في الماضي ولا الَّذين في الحاضر - **أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾، هٰذه الآياتُ بحاجة إلى تفصيل في القول وإلى بيان مضامينها الَّتي ترتبطُ بماضي الزَّمان قبلَ الإسلام وبعدَ الإسلام والَّتي ترتبطُ بحاضر أيَّامنا هٰذه..

في سورة الحشر في الاتجاه نفسه، الآيةُ الحاديةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا** - هٰؤلاء مُسلمونَ من الصَّحابة وكثيرٌ منَ الصَّحابة مُنافقون - **يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ** - لليهود الَّذين كانوا في المدينة وفي المَناطق المجاورة للمدينة - **لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَايَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ** - فهذا حالُ اليهود وحالُ الَّذين يُناصرونَهُم - **لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** - الحديثُ عن اليهود وعن المنافقينَ منَ الصَّحابة اللُّعناء - **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ** - الحديثُ عن اليهود بالدرجة الأولى وعن أنصارهم منَ الصَّحابة المنافقينَ اللُّعناء، والقُرى هي المُدُن - **أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّايَعْقِلُونَ**﴾، "**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً**"؛ الحديثُ عن اليهود وعن الصحابة المنافقينَ اللُّعناء.

هٰذه المضامينُ في آيات سورة آل عمران وفي آيات سورة الحشر تُخبرنا بأنَّ واقعَ اليهود وبأنَّ السُنَنَ الكونيّة الحاكمَة عليهم ما كانت تسمحُ لَهُم أن ينتصروا في حروبهم.

هُناكَ حُكمٌ بيَّنهُ القُرآنُ لنا في سورة المائدة في الآية الرابعة والستين بعدَ البسملة: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ** - عقيدةٌ يهوديَّةٌ لا أريدُ أن أخوضَ فيها، إنَّهُ التَّفويضُ المطلق من أنَّ اللّهَ خَلقَ الخَلْق وفَوَّضَ الأمرَ إلى الخَلْق - **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً** - هٰذه أقوالُ اليهود فيما أُنزِلَ على رسول الله صلَّى اللّهُ عليه وآله، موطن الحاجة - **وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾، "**كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّه**"؛ هٰذا القانونُ يَعملُ في اليهود في المرحلة ما بينَ نهاية العُلُوّ الأوَّل وبداية العُلُوّ الثَّاني، ولكن بعدَ العُلُوّ الثَّاني فهٰذه السُنَنُ إمَّا أنَّها تتوقَّفُ بالمطلَق أو أنَّها تكونُ ضعيفةً وهٰذا هو قانونُ البداء.

في سورة الإسراء: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ** - رَدَدْنَا لليهود الكَرَّةَ على الَّذينَ كانوا يَتغلَّبونَ عليكُم - **وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً**﴾، فلا مجالَ للفرار، فأنتُم أكثرُ نفيراً فلا تُولُّونَ الأدبار، ستكونُونَ أنتُم الأقوياء، متى يكونُ هٰذا؟ في مرحلة العُلُوّ الثَّاني.

العُلُوّ الثَّاني مُقدماتهُ تُحد ثنا سورةُ الإسراء عنها في الآية الرابعة بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**وَقُلْنَا من بَعْده** - من بَعد فرعون، بعدَ أن قضى فرعونُ غرقاً - **لبَني إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ** - إنَّها أرضُ فلسطين اسكُنُوها، فتحقَّقَ العُلُوّ الأوَّل، ثُمَّ بدأ الانحطاطُ اليهوديّ، ثُمَّ وصلوا إلى عَصرِ التفرُّق والتشتُّت فانتشروا في الأَرض - **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَة** - وَعدُ الآخرة بحسب الآيات الأولى من سورة الإسراء إنَّهُ العُلُوّ الثَّاني - **جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً** - أيّ تَعبيرٍ عجيبٍ هٰذا في القُرآن!! اللَّفيفُ في لُغة العرب هي الأخلاطُ المجتمعة، شيءٌ غريبٌ هٰذا التعبير!! وهٰذا بالضَّبط الَّذي جرى على أرض الواقع، المنظَّمةُ الصهيونيَّةُ اليهوديَّة هٰكذا فعلت؛ كانت تجمعُ اليهودَ من مُختلف البلدان، تُهيئُ لَهُم أمكنةً قريبةً منَ الموانئ، قريبةً منَ المطارات، ثُمَّ يُركبُونَهم السَّفُن، فتأتي السَّفُنُ إلى فلسطينَ مُحمَّلةً بأخلاط منَ اليهود من مُختلَف البُلدان، لكنَّهُم اجتمعوا في تلكَ السَّفُن، اجتمعوا في تلكَ الطائرات، اجتمعوا في وسائل النَّقل البريَّة، من بُلدانٍ مُختلفة، من أعراقٍ مُختلفة، ثُمَّ اجتمعوا في فلسطين، إنَّهُم أخلاطٌ مُتباينةٌ ولكنَّهم اجتمعوا في مكانٍ واحد، تعبيرٌ دقيقٌ جدّاً جدّا..

قرأنا تأريخَ اليهود الَّذي كتبوهُ هُم، وقرأنا تأريخَ اليهود الَّذي كَتبهُ غيرُ اليهود ما وجدنا هٰذه اللقطة في تأريخ اليهود قبلَ القرن العشرين الميلادي..

إنَّهُ تعبيرٌ ساحرٌ للَّذي يَفقَهُ أسرارَ العربيّة وآدابها، لماذا لم يَقُل القُرآنُ جِئنا بِكُم من كُلِّ مكان؟! لماذا لم يَقُل القُرآنُ جِئنا بِكُم أفراداً وجماعات؟! لا يُوجدُ تعبيرٌ يرسمُ لنا الصورة الحقيقيّة الَّتي وقعت كما يرسمُ هٰذا التعبير، لقد جاءت المنظَّمةُ الصهيونيَّةُ باليهود من كُلِّ أنحاء العالم بهٰذه الطريقة جاءت بِهم لَفيفاً، هٰذه السُّنَنُ الكونيَّةُ الإلهيَّةُ تتحقَّقُ عبرَ العباد..

في (الكافي الشريف) للكليني، المتوفَّى سنة (328) للهجرة، الجزء الأوَّل، طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ الصفحة السادسة والستين بعدَ المئة، البابُ: "بابُ البداء"، الحديثُ الأوَّل: **عَن زُرَارَةَ بنِ أعيَن، عَن أحدهما** - عن أحدهما إمَّا عن الباقرِ أو عن الصَّادق صلواتُ اللّه عليهما - **مَا عُبِدَ اللّهُ بِشَيءٍ مِثل البَداء.**

وروايةٌ أخرى: **بِسَنَدِ الكُلَيني، عَن هِشَام بنِ سَالم، عَنْ إمَامنَا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عَليه: مَا عُظِّمَ اللّهُ بِمِثل البَداء.**

عُلماءُ سَقيفة بني ساعدة أعرابٌ جُهَّالٌ لا يفقهونَ معنى البَداء ويَتصورونَ أنَّ البداءَ حينما نعتقدُ به فإنَّنا نقولُ بأنَّ البَداءَ هُو في علم الله، يَبدُو للّه في علمه ويتغيَّرُ علمهُ، هٰذا كُفرٌ صريحٌ، البداءُ ليسَ في علم الله، هٰذا ما هُوَ الله.

البداءُ هُو في تَنظيم الكون، هُو جُزءٌ منَ السُنَنِ والقوانينِ المتحكِّمة بالتَّكوين والتَّشريع، وقانون البداء واقعٌ تَحتَ سُلطة المعصوم مثلما نقرأُ في الزيارة الجامعة الكبيرة ونحنُ نُخاطبُ مُحمَّداً وآلَ مُحمَّد صلواتُ الله عليهم: (**وَدَلَّ كُلَّ شَيءٍ لَكُم**)، أو في عبارة أُخرى فيها شيءٌ منَ التفصيل: (**إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم**)، هٰذا الإيابُ والحساب يكونُ ما قبلَ الخَلْقِ ومَعَ استمرار الخَلْق، قانونُ الحُجَّة هٰكذا: (الحُجَّةُ قَبلَ الخَلْقِ ومَعَ الخَلْقِ وبعدَ الخَلْق)،

هـٰذا هُو قانون الحُجّة المطلَق في ثقافة العترة الطاهرة، أئمّتُنا هـٰكذا أدّ بُونا وعَلّمُونا وعَرّفُونا ودَرّسُونا، قانون البداء شأنٌ من شُؤون الخَلْق يقعُ تحتَ سُلطة الحُجّة.

فحينما نَفْقَهُ فقهَ البَداء فهـٰذا يعني أنّنا سنجعلُ مُخطّطاتنا وبرامجنا وفقاً لما يرسمهُ اللّهُ في سُنَنه الكونيّة في هـٰذا الكون.

فحينما يَرسمُ اللّهُ في سُنَنه الكونيّة من أنّ اليهودَ يولُّونَ الأدبار، من أنّ اليهودَ لا يُنصَرون، حينئذ تَكونُ السّاحةُ مفتوحةً للحربِ والقتال، ولكن حينما يكونُ الكلامُ هـٰكذا: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾، سيعترض المعترضون على كلامي هـٰذا، أقولُ هـٰذا الميدان وأرونا ماذا تستطيعونَ أن تفعلوا، فقد سبقَكُم الأغبياءُ بعدَ الأغبياءِ منذُ سنة (1948) وإلى يومنا هـٰذا، ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**﴾، قَضاء ومكتوب، مكتوب يعني ثابتاً يعني قطعياً، إنّهُ قضاء مُبرم.

دلائلَ التأكيد في هـٰذه الآية:

"**وَقَضَيْنَا**"؛ هـٰذا أوّلاً إنّهُ قَضاء.

"**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ**"؛ قضاءٌ مَكتوبٌ مُبرمٌ قَطعيّ.

"**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**"؛ اللاّمُ لامُ التوكيد، هـٰذا توكيدٌ ثالث. "**لَتُفْسِدُنَّ**"، وهـٰذه نونُ التوكيد المثقّلة، إنّها عِبارةٌ عن نُونَين دُمِجتا مع البعض، فَهُما إشارتان للتوكيد..

هـٰذه خمسُ إشارات للتوكيد.

"**وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**"، مَرّتَين؛ مفعولٌ مُطلَق تُشيرُ إلى العدد، ولكنّها في سياق التأكيد تأتي إشارةَ تأكيد أيضاً، لأنّ هـٰذا الإفساد سيكونُ متكرراً، فهـٰذا تأكيدٌ سادس.

وماذا بعد؟

"**وَلَتَعْلُنَّ**"؛ وهـٰذه لامُ الـ توكيد، هـٰذا تأكيدٌ سابع، وهـٰذه نونُ التوكيد المثقّلة إنّها نُونان قد دُمِجتا معاً ثمانية وتسعة، هـٰذه العلامةُ التاسعةُ من علامات التأكيد.

"**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً**"؛ مَفعولٌ مُطلَق من نَفس لفظ الفعل، إذا جاء المفعول المطلقُ من نفس مادّة الفعل، "**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً**"، "**لَتُفْسِدُنَّ مَرَّتَيْنِ**"، المفعول المطلق ما جاء بلفظ الفعل وإنّما جاء للعَدد، وتُلاحظونَ أنّنا كُلّما تقدّمنا في الآية كُلّما كانَ التأكيدُ أكثر، "**عُلُوّاً**"؛ مفعولٌ مُطلَق من نَفس لفظ الفعل إنّهُ يُؤكّدُ الفعلَ تأكيداً، هذا تأكيدٌ عاشر.

ثُمّ تأتينا الصّفة: "**عُلُوّاً كَبِيراً**"، كَبيراً نَعتٌ لعُلُو وهُو التأكيدُ الحادي عشر.

التأكيدُ الثّاني عشر: هُو مجموعُ ما في كُلّ الآية.

اثنا عشر توكيد، لن تجدوا في آية من آيات القُرآنِ هـٰذا العددَ من التوكيد..

يعني أنّ الأمر لابُدّ أن يقَع، وقد وقَع الأمر..

فبعدَ أن تتحدّثَ الآياتُ عن الإفساد الأوّل يصلُ الكلام إلى الإفساد الثّاني في الآية السادسة بعدَ البسملة: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ** - على الّذينَ كانوا قد تغلّبوا عليكُم بِشكلٍ عام - **وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً** - إلى أن تقولَ الآيةُ السابعةُ بعدَ البسملة: **فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً** - فجاء عنوانُ الآخرة إلى العُلوّ الثّاني وإلى نهاية العُلوّ الثّاني، حينما ينتهي العُلوّ الثّاني يكونُ حالُ اليهود هُو هـٰذا: **لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً**﴾، والمرادُ من المسجدِ هُو دارُ العبادة أكانَ لليهود، للنّصارى، للمُسلمين، هُو دارُ العبادة.

إذاً هُناكَ استضعافٌ وهُو الاستضعافُ الفرعوني لليهود.

وهُناكَ عُلُوٌ لليهود وهـٰذا العُلوّ تسامى إلى زمان الدولة السُليمانيّة، وبانتهائها ترتّبَ ما ترتّبَ على عُلُوّهم وفَسادهم وإفسادهم.

إلى أن وصلنا إلى أن يُعادَ بِهم لَفيفاً إلى فلسطين ويبدأ العُلوّ الثّاني، وحينما يتحقّقُ العُلوّ الثّاني يكونونَ هُم الّذينَ سيتسلّطونَ على فلسطينَ وعلى منطقة الشّرق الأوسط، ولكن حينَ ينتهي موعدُ عُلوّهم الثّاني وذلكَ عندَ ظُهورِ إمامِ زَماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه الأحاديثُ المعصوميّةُ عندنا تُخبِرنا بأنّ الجيشَ المهدويَّ سيُقبِلُ منَ العراق عبرَ بلاد الشّام عبرَ سوريّة إلى فلسطين بعدَ القضاء على السُّفيانيّ في بلاد الشّام يتوجّهُ الجيشُ المهدويُّ إلى فلسطين..

فماذا يعني هـٰذا؟ هل نُذعنَ للعُلوّ الإسرائيلي؟

القُرآنُ في سورة الأنفال، الآية الستين بعدَ البسملة يأمُرنا أمراً مُطلقاً: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾.

موطنُ الحاجة هنا: "**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**"، الحديثُ عن قُوّة مُطلَقة، القُوّةُ هنا ليست مُنحصرةً بسلاح الحُروب..

الجزء الأوّل من كتاب (فقيهُ من لا يحضرهُ الفقيه)، للصّدوق المتوفّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة النشر الإسلامي/ قُم المقدّسة/ الصفحة الثّالثة والعشرين بعدَ المئة، الحديثُ السّابعُ والخمسون: **عَن إمامنا الصّادق صلواتُ اللّه عليه: في قَول اللّه تَعالى: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ"** - ماذا يقولُ الصّادق؟ - **قَالَ: منهُ الخضَابُ بالسَّواد** - "ا لخضابُ بالسَّواد"؛ أن يُخَضِّبَ المرءُ شَعرَ رأسه أو شَعرَ لحيته، أن يُخضِّبَ شعرهُ الأبيضَ بالسَّواد، أنا لا أُريدُ أن أقفَ عندَ موضوع الخضاب بالسّواد، وإنّما جِئتُ به مِثالاً عن أنّ القُوّة في الآية ليست مُنحصِرةً بالسّلاح فَقط، الّذي يتصوّر أنّ القُوّة منحصرةٌ بالسّلاح هـٰذا سطحيّ التّفكير!!

تعالوا معي إلى الزّمان الّذي نعيشُ فيه وقد بلغت فيه البشريّةُ إلى أعلى درجات قُوّتها:

الآن الدُّولُ العُظمى ولنأخُذ مثالاً واضحاً الولايات المتحدة الأمريكية لم يَمُر في التّاريخ دولةٌ تمتلكُ قُوّةً كَقُوّة الولايات المتحدة الأمريكيّة، إذا أردنا أن نُفَكّك قُوّتها أينَ قُوّةُ الولايات المتحدة الأمريكيّة؟ إنّهُ العِلم..

أتعلمونَ أنّ كثيراً من عُلماء بريطانيا، وليسَ من بريطانيا فقط ومن سائر الدول الأوروبيّة الأخرى يتركونَ أوروبا ويذهبونَ إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة، لماذا؟ لأنّها تُوفّرُ لهم مجالاً للبحث العلميّ ليسَ متوفّراً في هـٰذه البلدان، الأموالُ الّتي تُنفَقُ في الولايات المتحدة الأمريكيّة للعلم وللتّحقيق وللتجارب العلميّة وللبحوث والدراسات لا توجدُ دولةٌ في العالم تُنفقُ جُزءاً منه جُزءاً منه جُزءاً كبيراً، فما يُنفَقُ لأجل العلم في الدول الأوروبيّة بالقياس إلى دول العالم الثّالث قَطعاً هُوَ إنفاقٌ هائلٌ ولكنّهُ لا يُعدُّ بشيءٍ للّذي يُنفَقُ في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ولذا هُناكَ كثيرونَ من كِبار عُلماء أوروبا يتركون أوروبا ويذهبونَ

إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكيّة لأنَّها تُوفِّرُ لَهُم ما يُريدونهُ، بل ما يتمنَّونَهُ في أبحاثهم العلميّة، القُوَّةُ قُوَّة العلْم، فهـٰذا العلْمُ هُو الَّذي يُولِّدُ التكنولوجيا، وقوامُ الحياة في الأرض في الحربِ أو في السِّلم التكنولوجيا، في اليقظة أو في المنام التكنولوجيا، في البرِّ أو في البحر التكنولوجيا، في الأرض أو في الجو التكنولوجيا، في الصحَّة وفي المرض، وحتَّىٰ في السَّفاهة والتَّفاهة فإنَّ التكنولوجيا تُقدِّمُ للسَّفهاء والتَّافهينَ ما يُساعدهم علىٰ سفاهَتهم وتفاهَتهم، وفي الصَّلاح وفي الفَساد، وفي الأمانة وفي الخيانة، الآن التكنولوجيا تُقَدِّمُ كُلَّ شيء، ونَحنُ بما أنَّنا تَعودنا على تَدخُّل التكنولوجيا في كُلِّ جُزء من أجزاء حياتنا لن نستطيعَ أن نعيشَ من دُون التكنولوجيا، صارت حياتُنا رهينةً بالتكنولوجيا، القُوَّةُ قُوَّةُ العلْم، ومن بَعد العلْم تأتي التكنولوجيا، من بَعد التَكنو لوجيا تأتي القُوَّةُ العَسكريّة، القُوَّةُ العَسكريَّةُ الأسلحةُ الجبّارةُ تتولَّدُ منَ التكنولوجيا، والتكنولوجيا تتولَّدُ من العِلْم، فأقوىٰ القُوَّة هُوَ العِلْم..